دور العلماء في قيادة الأمة

أ. د/ ناصر بن سليمان العمر – السعودية

المشرف على موقع المسلم في الشبكة العالمية

ملخص البحث:

للعلماء دور عظيم في قيادة الأمة، ينبع من علمهم المقترن بالعمل، فهم «ورثة الأنبياء»، يرثونهم في العلم والعمل، يقتدون بهم في السرِّ والعلن، يلتزمون منهجهم في الغضب والرضا، فيدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى.

وبقدر أهمية العلماء الربانيين وحاجة الأمة إليهم يتبين حقًّا خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة التي هم عليها لا يسدُّها غيرهم، فعليهم أن يتقدموا لسدِّ هذه الثغرة، وأن يتولَّوا زمام المبادرة بأنفسهم، وأن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها، وأن لا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون.

إن العلماء متى تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلاً لسدِّ مكانهم، ولا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجِّهونهم «حتى إذا لم يجد الناس عالمًا اتخذوا رؤوسًا جهالاً فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا».

وعلى العلماء أن يحذورا من تغييب دورهم بأنفسهم، وقد يقع ذلك من حيث يظن العالم أن هذا هو مقتضى الثبات، وعدم التأثر بالواقع، بينما هو في حقيقته نوعٌ من الانغلاق والانكفاء على الذات، فالمراد من العالِم أن يقوم بما يستطيع، وهو معذورٌ فيما لا يحسن، فإن قدر يكون المرجو منه شمولية الأهداف والمشاريع، وإصلاح واقع الأمة بكل مجالات ذلك الواقع واتجاهاته.

ويظل المطلوب من العلماء كثيرًا، والمهمة الملقاة على عاتقهم عظيمة، ولا بد أن توجيهاتهم تكون مقوِّمًا لما اعوجّ من حال الأمة، ململمًا لما تبعثر منها، موجِّهًا لها إلى حيث تعظم الحاجة، وعلى الشباب والدعاة عدم إغفال رأي أهل العلم، والحرص على استنباط الصواب بمشورتهم، ولعل مما يتوجب على أهل العلم أن يتعدى دورهم حال النوازل أكثر من مجرد إصدار بيان –على أهمية البيان للأمة– إلى اقتراح المشاريع والبرامج العملية التي يرونها كفيلة بمعالجة النازلة، أو احتواء آثارها، والمشاركة في تلك البرامج والمشاريع، ومراقبة خط سير الأمة على المنهج الأقوم، حتى لا تدفع النوازل الطارئة إلى خروج عن الصراط المستقيم، فضلاً عن الاستعداد لكل منافق قد يطل بقرنه أثناء النازلة.

أفكار ومقتطفات

- العلم الذي هو سبب التشريف وعلة التكريم قد يكون سببًا لشقاء الدنيا والآخرة، وموجبًا للذم والمهانة عند الله وعند الناس إذا لم يقترن به من العمل ما ينفع صاحبه وأمته من بعده.

- مَنْ يجتهدُ فيما يطيق من العمل الصالح ونفع الأمة بما معه من العلم هو في أشرف المنازل وأسناها، حتى ولو لم يكنْ من المتبحرين في علوم الشريعة أو الخائضين في لجَّتها.

- أهم صفات العلماء الربانيين الذين يُنتظر منهم أن يقودوا الأمة -ولا سيما عند الاختلاف والاضطراب- هي صفة «الخشية».

- ليس المراد بالثبات أن يقعد العالِم في بيته معتزلاً عن قضايا الأمة وهمومها، وإنما المراد هو الاضطلاع بدور الريادة والقيادة مع التمسك بأمر الله قدر المستطاع، فإن قدر وإلا عُذر، فإن الثبات على المبدأ هو التحرك به لا الانعزال والانطواء.

- لو تأملت حال مجددي الأمة على مر العصور تلمس طابع التفاعل مع المجتمع والتفعيل لقواه المختلفة أمرًا مطردًا، وهذا أمر طبيعي.

- واقع الأمة يتطلب تفعيلاً لها من قِبَل المبصرين لما يجب أن تكون عليه؛ وفقًا لمنهج الله الذي ارتضى لعباده، وهذا يحتِّم على أهل العلم والفضل التقاءً واتفاقًا على مشاريع مختلفة؛ باختلاف المتفقين عليها وباختلاف أولويات واقعهم، فضلاً عن نبذ التناحر والتنافر الذي لا يخفى أثره.

- هذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها «شيخ الإسلام ابن تيمية».

- قد يكون من الغش لأنفسنا ولإخوتنا وللأمة اجتماعنا لعلاج داء يسير مع من يحملون داءً عضالاً قاتلاً كان البدء به أحرى.

- إن المؤثرين من العلماء والدعاة إن اقتصروا على قدراتهم الذاتية فسوف يكون مآلهم الانغلاق على مشروع أو مشروعين.

- لتنوّع الظروف والمجتمع الذي يقوم فيه شأن الإصلاح أثر في اختلاف الأولويات والوسائل، وهو في الجملة من اختلاف التنوع لا التعارض؛ مما يوجب على أهل الإصلاح التعاذر عند الاختلاف واجتناب سوء الظن والتغليظ في النقد.

- «والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا؛ فأما أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا» شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٧).

- بعض حركات المقاومة أو الجهاد الإسلامي لها أثر ملموس في إنهاك المحتل، ولكن كثيرًا منها ربما افتقر إلى رؤية سياسية واضحة، أو برنامج سياسي مصاحب لعمل المقاومة، وهذا الخلل قد يستغله غيرهم فيقطف ثمرتهم.

- قد يرغب كثير من الناس في عمل الخير والبذل، لكن تشتبه عليهم السبل، فيخطئون الصواب، أو يقدِّمون ما مِنْ شأنه التأخير، إما جهلاً منهم بمقاصد الشريعة وغايتها الكبرى، أو أحكامها، أو لرأي قاصر وفقًا لما يُسِّرَ لهم من وسائل الملاحظة والإدراك.

- إن الواقع يقتضي نزول جماعات من أهل العلم إلى حيز العمل الدعوي فيتبنون المشاريع التي توجِّه الشباب، وترشد سير الدعوة، وَتُعْنَى بالتربية التي تُخرِّج الأجيال وتحفظهم من الضياع والانحراف في مسالك الغلو أو الجفاء.

- الأمة أحوج ما تكون عند النازلة إلى أهل العلم الراسخين والعلماء الربانيين، ولعل مما يتوجب على أهل العلم أن يكون دورهم حال النوازل أكثر من مجرد إصدار بيان؛ مهما وسعهم ذلك- على أهمية البيان للأمة.

- كثير من المرجفين والمنافقين يغتنمون النوازل فيروجون لفكر منحرف يحاولون استبدال منهج الله به، فإن كان المصلحون لهم بالمرصاد أمكنهم الاستفادة من إفرازات أهل النفاق الضارة، ومخالفاتهم في تأجيج الحق وإظهاره.

- إن من المهم التأكيد على أن بعض المصلحين قد يجب عليه أو يناسبه العمل من خلال مؤسسات شعبية مستقلة عن أجهزة الدولة الرسمية، أو يختار المسلك الآخر بالعمل ضمن مؤسسة رسمية؛ مع محافظته على استقلاله، وعدم انجراره ضمن أعمال لا يدين الله بها، وسلوك هذا المسلك أو ذاك إنما هو وفقًا لحال المصلح ومقتضيات المصلحة التي يقدرها.

دور العلماء في قيادة الأمة

أ. د/ ناصر بن سليمان العمر - السعودية

المشرف على موقع المسلم في الشبكة العالمية

منزلة العلماء في الأمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل- عليهم الصلاة والسلام- بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم قتيلٍ لإبليس قد أحيوه؟! وكم ضالٍّ تائهٍ قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.(١)

ويكفي في بيان شرفهم وعِظم مسؤوليتهم وأهمية دورهم ما وصفهم الله به في مواضع من كتابه بالخشية والرفعة، والأمر بالرجوع إليهم، وما خصهم به النبي صلى الله عليه وسلم من كونهم «**ورثة الأنبياء**»(٢)، فحيثما وقعت الفتن واختلطت الأمور، واحتاج الناس إلى المصلح والقائد ولم يجدوا أنبياء لله ورسله؛ فليقصدوا ورثتهم الذين يقولون بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم، وإن سُئلتَ عن السبب فـ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]؟!

مَنْ هم العلماء المعنيُّون بالفضل والتشريف؟

إن «ورثة الأنبياء» هم الذين يرثونهم علمًا وعملاً، ويقتدون بهم في السرِّ والعلن، ويلتزمون منهجهم في الغضب والرضا والمنشط والمكره، ولا يكونون كمَنْ ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، أو كمن ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

والعلم -الذي هو مصدر تشريف الله للعلماء- علمان ينبغي أن يجتمعا في العالم، وكذلك العمل، فأما العلم فعلمٌ بواقعه الذي يعايشه، وعلمٌ بحكم الله الواجب فيه، وكذلك العمل يجب أن يكون عملاً بمقتضى العِلْمَيْن.

والعلم الذي هو سبب التشريف وعلة التكريم قد يكون سببًا لشقاء الدنيا والآخرة، وموجبًا للذم والمهانة عند الله وعند الناس إذا لم يقترن به من العمل ما ينفع صاحبه وأمته من بعده، بل قد يكون صاحبه من أول مَنْ تسعَّر بهم النار.(٣)

ولذلك فإنّ من الأهمية بمكان التأكيد على أن مَنْ يجتهدُ فيما يطيق من العمل الصالح، ونفع الأمة بما معه من العلم هو في أشرف المنازل وأسناها، حتى ولو لم يكنْ من المتبحرين في علوم الشريعة أو الخائضين في لجَّتها، ولهذا لما ذُكر معروف الكرخي في مجلس الإمام أحمد «فقال بعض مَن حضر: هو قصير العلم، فقال له أحمد: أمسكْ عافاك الله! وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟!».(٤) ولعلَّ

أهم صفات العلماء الربانيين الذين يُنتظر منهم أن يقودوا الأمة - ولا سيما عند الاختلاف والاضطراب - هي صفة «الخشية»، والتي جعلها الله من أخصِّ صفاتهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ولذلك قال الإمام أحمد لابنه عبد الله لما سأله عن معروف هل معه من العلم شيء؟ قال: معه رأس العلم: الخشية.(٥)

ومردُّ ذلك أن أهل الخشية من العلماء هم الذين يَصْدُرون فيما يقولون ويفعلون عمَّا أدَّاه إليه اجتهادُهم، دون مداهنةٍ لأحد أو خوف من أحد، ومن غير أن يتطلعوا لعَرَضٍ زائلٍ مهما بلغ، فإن مقتضى خشية الله في قلوبهم أن لا يلتفتوا إلى أهوائهم ولا أهواء غيرهم من الخاصة أو العامة.

العلم علمان ينبغي أن يجتمعا في العالم، وكذلك العمل، فأما العلم: فعلمٌ بواقعه الذي يعايشه، وعلمٌ بحكم الله الواجب فيه، وكذلك العمل يجب أن يكون عملاً بمقتضى العِلْمَيْنِ

ومتى ما كانت مواقف العالِم كذلك كانت أقرب إلى الصدق والثبات، وأحرى أن تطمئن لها النفوس وتجتمع عليها القلوب.

تغييب دور العلماء:

إنه بقدر أهمية العلماء الربانيين وحاجة الأمة إليهم يتبين خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة التي هم عليها لا يسدُّها غيرهم، ومن أجل تجنّب ذلك فإنني أؤكد على أمور مهمة، هي:

أنه يجب على العلماء أن يتقدموا لسدِّ الثغرة، وأن يتولوا زمام المبادرة بأنفسهم، وأن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها، وأن لا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون.

فإنهم متى ما تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلاً لسدِّ مكانهم، ولا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجِّهونهم «حتى إذا لم يجد الناس عالمًا اتخذوا رؤوسًا جهالاً فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا». (٦)

لا بد من الاحتساب مِنْ قِبَل العلماء الراسخين على مَنْ يدَّعون العلم وينتسبون إليه من غير أهله، وتبيين حالهم للناس، وعدم ترك المجال لهم ليقودوا الأمة ويتصدّروها، وإن من غِشِّ الأمة ترك الاحتساب على أولئك المتعالمين.

يقول ابن القيم -رحمه الله- عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان شيخنا رضي الله عنه شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجُعلتَ محتسبًا على الفتوى؟! فقلت له: أيكون على الخبازين والطبَّاخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب؟!»(٧)، فانظر إلى فقه هذا الإمام الرباني.

ولا بدَّ أيضًا من التصدي لمن يسعى إلى زعزعة ثقة الأمة بعلمائها بوسائل شتى، لا سيما ممن يسيطرون على كثير من وسائل الإعلام على اختلافها، فإن الحرب الشرسة التي يقودها هؤلاء على أهل العلم ومحاولة التهوين من شأنهم والحط من قدرهم، لا بد وأن تُواجَه، وأن تُقاوَم من أهل العلم، بل من الأمة أجمع، بما يتناسب مع هذه الحملات والتشويه.

إننا لا نقول بعصمة العلماء من الخطأ.. كلا، وإنما مَنْ يقرر أخطاءهم أو يناقشها ليس هم أولئك الجهلة أو المنحرفين، وإنما العلم يُردُّ بالعلم، وتُقارَع الحجة بمثلها.

ومن الأمور المهمة في هذا السياق أن يحذر العلماء من أن يقوموا هم بتغييب دورهم بأنفسهم.

وقد يقع ذلك من حيث يظن العالم أن هذا هو مقتضى الثبات وعدم التأثر بالواقع، بينما هو في حقيقته نوعٌ من الانغلاق والانكفاء على الذات، وهو مذمومٌ بلا شك، فليس المراد بالثبات أن يقعد العالم في بيته معتزلاً عن قضايا الأمة وهمومها، وإنما المراد هو الاضطلاع بدور الريادة والقيادة مع التمسك بأمر

الله قدر المستطاع، فإن قدر وإلا عُذر، فإن الثبات على المبدأ هو التحرك به لا الانعزال والانطواء.

إن المراد من العالم أن يقوم بما يستطيع، وهو معذورٌ فيما لا يُحسن، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أما إذا استطاع العالم وقَدِر فإن المرجو منه شمولية الأهداف والمشاريع، والمنتظَر منه إصلاح واقع الأمة بكل مجالات ذلك الواقع واتجاهاته.

وتأمل حال شيخ الإسلام ابن تيمية تلمس أثره ظاهرًا في التأصيل للمسائل العلمية والعملية، الدقيقة والجلية، وكذلك في تبني مشروعات عملية؛ منها التعبدي الخاص به، ومنها ما يتعلق بإنزال التأصيل العلمي الذي يقرره إلى أرض الواقع، فتراه مثلاً يقرر مسائل الاعتقاد، ثم يدعو إليها ويناظر عليها، وتراه كذلك يؤصل للسياسة الشرعية، ثم لا يألو جهدًا في مناصحة الأمراء والولاة والقضاة، وأكثر من ذلك تراه يتولى زمام الدعوة إلى شن الحروب على العدو المتغلب، وينخرط في برامج تدريبية تؤهل الناس إلى ذلك، ثم يحرض الناس على اختلاف طبقاتهم للمشاركة في وقعة شقحب، بل يقود الجيوش والمعارك، ثم يوجِّه الدولة نحو خطر أهل النفاق المظاهرين للعدو من رافضة جبل كسروان، مع جهوده وطلابه في إنكار المنكرات، وفي أثناء ذلك كله يبين قراءته للأحداث، ويطرح رؤيته لتوقع سيرها، وقد كانت عنده من الوضوح بمكان يجعله يقسم على بعضها متفائلاً بتحقق النصر وهزيمة العدو، على رغم اضطراب الأوضاع في عصره بما يشبه حال الناس اليوم، فما أشبه عصره بعصورنا في كثير من القضايا كشيوع الجهل، وانتشار المنكرات العقدية والعملية والأخلاقية، وضعف الأمة وانكسار شوكتها، وتغلب العدو المغولي المحتل عليها، وتنازع الملك بما يشبه الانقلابات العسكرية المعاصرة، وإغارة الأمراء على الأقاليم.

ومن الأمور المهمة جدًا - من وجهة نظري - في مجال تفعيل دور العالم في الأمة وعدم غياب ذلك الدور أو تغييبه البعدُ عن المسلك الفردي في العمل والإصلاح والتأثير؛ وذلك أن الجهد الفردي - مهما كانت قدرات صاحبه ومواهبه - لا يمكن أن يوازي جهده حينما يكون مضمومًا إليه جهود وخبرات الآخرين ومواهبهم وطاقاتهم، حتى ولو كانوا أقل منه كطلابه أو عامة الناس من أصحاب التخصصات المتنوعة التي تحتاجها الأمة.

وبما أننا مثَّلنا على الدور الإيجابي للعلماء الربانيين بمواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإننا ننبِّه أيضًا إلى أنه كان له -رحمه الله- إخوة من العلماء والعباد، وطلاب ومحبون من العامة والأمراء، بتعاضده معهم -بعد توفيق الله تعالى- أفلح في تحقيق مشاريع كثيرة؛ بعضها متعلق بالدعوة وإظهار الحق، وبعضها متعلق بالجهاد، وأخرى متعلقة بإنكار المنكرات، وكثير منها لم يكن ليتأتى له -على الرغم من القدرات العلمية التي حباه الله- لو سلك نهج العمل الفردي.

ولو تأملت حال مجددي الأمة على مر العصور تلمس طابع التفاعل مع المجتمع والتفعيل لقواه المختلفة أمرًا مطردًا، وهذا أمر طبعي، فكيف يتأتى لأمة خاملة منهكة أن تنهض دون أن تستجمع قواها؟ ولو كان أحد يستغني عن الآخرين في نشر الإسلام ونصره إذًا لاستغنى الأنبياء عليهم السلام، ولكن هذا لم يكن، ومن تأمل سيرة أكثر الأنبياء تبعًا، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وجد ذلك جليًا، وفي عصورنا المتأخرة نجد تعاون الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله- مثالاً يُقتدى.

العلماء.. والمشاريع المشتركة:

إن واقع الأمة يتطلب تفعيلاً لها من قبل المبصرين لما يجب أن تكون عليه وفقًا لمنهج الله الذي ارتضى لعباده، وهذا يُحَتِّم على أهل العلم والفضل التقاءً واتفاقًا على مشاريع مختلفة باختلاف المتفقين

عليهـا، وباختـلاف أولويات واقعهم، فضـلاً عن نبذ التناحر والتنافر الذي لا يَخفى أثره.

وينبغي أن نراعي في هذا أمورًا، منها:

– «الاجتماع علـى كلمة حق سـواء» مقصدٌ ينبغي أن نسـعى إليـه كما ينبغـي أن نجتهـد في نبـذ الفُرقة والاختـلاف، فـإن من جملة أسـباب ما تعيشـه الأمة تفـرق النـاس شـيعًا وأحزابًـا متناقضـة، قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: «وهذا التفريق الـذي حصل من الأمـة علمائهـا ومشـايخها، وأمرائهـا وكبرائهـا هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها»[٨]، وإذا كنا نعتقد أن اختـلاف حكام الإسـلام وتشـرذمهم قد أضعف الأمة، وأغرى أعداءها بها، فكلمة شـيخ الإسلام هذه تذكِّرنا بأن اختلاف المشـايخ والعلماء مصيبة لا تقل عن تلك.

– قـد لا يتأتى الاتفاق علـى كل الفروع، ومع ذلك فقـد يتأتـى الاجتمـاع على مشـاريع مشـتركة، وهذا الاتفاق على مشـروع لا يعني إقرار المتفقين بعضهم بعضًـا علـى التصـورات والآراء غيـر التـي يتبناهـا المجتمعون في مشـروعهم المشـترك. فـلا ينبغي أن يحسـب هـذا على هـذا، أو يخلط بينهما على سـبيل الإطلاق، ولا سـيما إذا اقتضى الاجتماع في مشروع مـا معالجـة واقع معين كفتنـة داهمـة، أو نازلة عامة. ومن نظر إلى الشـريعة السمحة وجد بعض الواجبات مناطـة بمجمـوع الأمـة، تتطلـب اجتماعًـا ولـو مع مخالف فـي أصل من الأصـول، فالجمعة والجماعة مثـلاً مأمور بها ولو مع مخالفيـن، بل قد تكون واجبة ولـو خلف إمام مبتـدع في بعض الأحـوال، وكذلك الجهـاد، وللإمـام أحمـد كلام رصين فـي ذلك كما في المغنـي (كتاب الجهـاد)، وكثير من التشـريعات ذات الطابـع الجماعي، فلا غـرو إذًا إذا تعين واجب علـى مجموع الأمة، أو تكفـل اجتماع بواجب كفائي أو عيني حالٍّ على بعض الأمة؛ من أن تلزم المشـاركة فيه، رغم الخلاف مع بعض المشـتركين في أصول أو فروع أخرى دون إقرار بما هو مختلَف فيه.

– النصح للمسـلم من حقوقـه؛ فلا ينبغي أن يُغفل، ولا سيما المخالط القريب، ويتأكد ذلك عندما يكون الاختلاف معه على أمر ربما لم يكن المشروع المتفق عليه بأولى من دعوته إلى ذلك الأمر المختلف فيه. بل قد يكون من الغش لأنفسنا ولإخوتنا وللأمة اجتماعنا لعلاج داء يسـير مع من يحملون داءً عضالاً قاتلاً كان البدء به أحرى.

– وممـا ينبغـي أن يُراعى كذلك النظـر في أهداف المشـروع المنشـودة ومحلها من حيـز الإمكان، فإن بعض المشاريع غير ممكنة؛ ومع ذلك يوجد من يروج لها، ولذا فلابد من النظر في مدى واقعية الأهداف في نفسـها، وكذلك في الأدوات والوسـائل التي يُراد أن يتوصل بها إليها، وتشـمل هذه المجتمعين أنفسـهم، فقـد لا أكون مناسـبًا للقيـام بعملٍ ما يُحسـنه غيري، وكذلـك العكس، بل قد يكـون الاجتماع على بعض المشـاريع مع بعـض الناس من قبيـل العبث وتضييع الجهـود والأوقات، بل قد يُفضـي إلى نقيض الهدف المنشـود، فإن طلب المقصود من غير طريقه يُبَعِّد من طريق المقصود.

ولعـل مما ينبغي أن يُلحظ كذلـك هو أن المؤثرين مـن العلمـاء والدعـاة إن اقتصـروا علـى قدراتهـم الذاتية؛ فسـوف يكون مآلهم الانغلاق على مشـروع أو مشـروعين، بل لن يسـتطيع كثير منهـم أن يكونوا مؤثريـن حقيقة، وعـلاج هذا الإشـكال يتطلب منهم توسـعة نطـاق قدراتهـم عـن طريـق إنشـاء مكاتبهم الخاصة التي تقوم على رؤيتهم، فتضاعف جهودهم، وتحفـظ أوقاتهم، وتعينهم على القيـام بما لم يكونوا ليقومـوا به منفرديـن، ويفتحون من خلالها مشـاريع متنوعة منضبطة بمنهجهم يسـهم فيها طلابهم، ومثل هـذه المكاتب قد تسـهم فـي كثير من لجان التنسـيق للأعمال المشـتركة والمشـاريع الكبرى التي تتطلب تضافـر جهـود المصلحيـن، ومـن ثَـمَّ متابعتها حتى تسـتوي على سـوقها، فإن اسـتوت شـرع في غيرها، وهذا عمل مؤسسي رائد.

وإذا نظرت في واقع الناس وجدت كثيرًا منهم لا يتصور عمله بغير تلك المكاتب في ظل الواقع المعاصر، ولذا تجد مسؤولي الدول والقيادات السياسية وغيرهم يعنون بمثل هذا الشأن، بل عموم المسلمين من أصحاب الأموال وأرباب التجارات يدركون ذلك؛ فينشؤون لأعمالهم المكاتب المتخصصة، وقد يكون لأحدهم أكثر من مكتب، أما إذا جاء أمر الشرع والدين وجدت الوعي بذلك قد يضعف، وللأسف إلاّ عند بعض المنحرفين من الخرافيين والآيات الرافضية وأضرابهم.

بيان أحوال الناس في تغيير الواقع السياسي المعاصر لبلدانهم:

يمكن تقسيم أحوال الناس في هذا المقام ثلاثة أقسام:

١ – اتجاه يتسم بأسلوب مواجهة المحتل الخارجي سواء كان ذلك بالجهاد الشرعي أو المقاومة القومية، وهذا المسلك مقبول إجمالاً لدى الأمم؛ لأحقية الشعوب في الدفاع عن نفسها وأرضها ومالها.

وقد حفل التاريخ الإسلامي بنماذج للتغيير الشرعي بمناهضة المحتل؛ كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام في صد التتار المنتسبين إلى الإسلام، وكذلك المنذر بن سعيد البلوطي وإخوانه من علماء الأندلس في حرب الصليبيين، ولما أخذت الفرنجة بيت المقدس قام العلماء بالتحريض على الجهاد، فكان ممن خرج إلى الأمصار ابن عقيل رحمه الله، وغير واحد من أعيان الفقهاء، وفي العصر الحديث لمعت أسماء في سماء ميادين الجهاد من أبرزها الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبدالوهاب –رحمهما الله– في أرض الجزيرة، ومن بعدهما علماء الدعوة في الديار النجدية، وفي إفريقيا ظهر اسم عبد الحميد بن باديس بالجزائر مؤسس جمعية علماء المسلمين، التي كان لها أثرها في الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي، والشيخ عز الدين القسام في الأرض المباركة، وغيرهم من منتسبي العلم في السودان ونيجيريا وأقصى إفريقيا، فاستحق صنيع أولئك أن يخلد ذكرهم، وقد قيل:

إن الزعامة والطريق مخوفة
غير الزعامة والطريق أمان

٢ – اتجاه التغيير القسري وله عدة أساليب:

أ - أسلوب الانقلابات من أبناء الشعب على الحكام والأنظمة المستبدّة، وقد يقود هذا الفرض أنواع من النظم المتباينة، فقد جلب ذلك الديمقراطية لفرنسا إثر ثورتها المشهورة في الغرب، وللشيوعية الماركسية إثر ثورتها في الشرق، فهذا المسلك مرفوض في الجملة لمفاسده الظاهرة؛ فإن استقر الأمر بعده وارتفعت المفاسد وجيء بالأصلح ارتفع سبب المنع، وأصبح نظامًا شرعيًّا ملتزمًا بالكتاب والسنة كان له حق السمع والطاعة؛ كما ذكر العلماء في حكم المتغلب على بلد من البلدان.

وقد حفل التاريخ الإسلامي بنماذج للتغيير الشرعي بمناهضة المحتل؛ كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام في صد التتار المنتسبين إلى الإسلام

ب - أسلوب الاستعانة بعدو خارجي للبلد لتغيير النُّظُم القائمة؛ كما حصل في العراق وأفغانستان، وهذا الأسلوب مرفوض في الجملة؛ فقد استقر قول أهل السنة على منع الخروج على الحاكم المسلم بالقوة، ولو كان فاسقًا، إن لم يكن خلعه بواسطة أهل الحل والعقد؛ لما يترتب على ذلك من مفاسد تربو على المصالح كما دلت على ذلك النصوص الشرعية والشواهد التاريخية والواقعية.

وأما ما يسمى بالشرعية الدولية فهي وإن رفضت هذا المسلك نظريًّا إلا أن دولها الكبرى تمارسه

بأبشع صوره وسط تواطؤ عالمي مشين، والواقع المعاصر أكبر برهان.

٣ - اتجاه التغيير الإصلاحي، وهو أوسع أبواب التغيير السياسي المتاح، وللناس فيه أساليب متعددة، ومن أنسبها في عصرنا الحاضر:

- أسلوب العمل الشعبي المتوجه إلى المجتمع أو الجمهور، وهو من أبرز اتجاهات الإصلاح المعاصرة كعمل مؤسسات المجتمع المدني المستقلة التربوية والاحتسابية والدعوية ونحوها، مع أهمية مراعاة البعد عن الفوضى، أو تقديم المفاسد على المصالح.

ومما تقدم يتبين أنّ لتنوّع الظروف والمجتمع الذي يقوم فيه شأن الإصلاح أثرًا في اختلاف الأولويات والوسائل، وهو في الجملة من اختلاف التنوع لا التعارض؛ مما يوجب على أهل الإصلاح التعاذر عند الاختلاف، واجتناب سوء الظن والتغليظ في النقد.

بل إن اختلاف الأسلوب والوسيلة قد يكون سائغًا، لاختلاف التكوين النفسي أو العلمي أو الخَلْقي، وإن كان ذلك في مجتمع واحد.

والمعيار لذلك الاختلاف هو العلم بالشريعة المقرون بفقه الواقع، كما قال شيخ الإسلام: «والواجب أن يُعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، فأما أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا» (الفتاوى الكبرى٥/ ٥٣٧).

ومن مجمل العرض الآنف يجد أهل العلم أمامهم مسالك مختلفة للإصلاح ربما كان لكثير منهم دور فيها، ويبقى التعويل في زيادة فاعلية أثرهم على مجريات الأحداث على ما مضت الإشارة إليه من اتفاق أصحاب المسالك المختلفة على مشاريع مشتركة تتضافر عليها جموعهم.

فعلى سبيل المثال قد تجد أن بعض حركات المقاومة أو الجهاد الإسلامي لها أثر ملموس في إنهاك المحتل، ولكن كثيرًا منها ربما افتقر إلى رؤية سياسية واضحة، أو برنامج سياسي مصاحب لعمل المقاومة، وهذا الخلل قد يستغله غيرهم فيقطف ثمرتهم، كما قطف الشيوعيون ثمار الثورة على القيصرية في روسيا، والعلمانيون ثمار الجهاد في الجزائر. ولعل مما يكفل نوعًا من الأمان لحركات المقاومة وجود رؤية سياسية واضحة لها، أو على الأقل وجود تعاون مشترك واتفاق على مشاريع سياسية مع القوى التي ارتضت مسالك أخرى في التغيير.

ومما يحسن التنبيه عليه أنه في بعض الأحوال - نظرًا لملابسات واقع ما- ليس بالضرورة أن يكون دور العلماء أكثر من التوجيه والإرشاد، والتقويم وفقًا لأحكام الشريعة وقواعدها مع السعي إلى جمع الكلمة مهما أمكن من أجل تكامل الجهود. بيد أنه لابد لجمهورهم من مباشرة العمل، وإلاّ سيكون ثمَّ نوع قصور في التصور فضلاً عن الإصلاح، وقد قيل

لا يعرف الشوقَ إلاّ من يكابدُه
ولا الصبابَةَ إلاّ من يُعانِيها

أدوار مهمة أخرى:

ويظل المطلوب من أولي الأمر من العلماء كثيرًا، والمهمة الملقاة على عاتقهم عظيمة، سواء تجاه جماهير ما يعرف بالصحوة أو دعاتها ورجالاتها، فقد يرغب كثير من الناس في عمل الخير والبذل، لكن تشتبه عليهم السبل، فيخطئون الصواب، أو يقدمون ما مِنْ شأنه التأخير، إما جهلاً منهم بمقاصد الشريعة وغايتها الكبرى، أو أحكامها، أو لرأي قاصر وفقًا لما يُسّرّ لهم من وسائل الملاحظة والإدراك، فتتكرر الجهود وتتبعثر الاجتهادات، وربما سلكت بعضها مسالك آثمة جهلاً، فيأتي توجيه أهل العلم وأصحاب النظر مقوِّمًا لما اعوج منها، ململمًا ما تبعثر منها، موجِّهًا إلى حيث تعظم الحاجة. كما كان شأن أهل العلم والنظر قديمًا.

ومع أن المطلوب من الشباب والدعاة عدم إغفال رأي أهل العلم، والحرص على استنباط الصواب

بمشورتهم، إما عن طريق ضم نخبة منهم في مجالس استشارية، وإن تعذر فلا مناص لهم من وصولهم. مع ذلك فإن الواقع يقتضي كذلك نزول جماعات من أهل العلم إلى حيز العمل الدعوي فيتبنون المشاريع التي توجه الشباب، وترشد سير الدعوة، وتُعنى بالتربية التي تُخرِّج الأجيال وتحفظهم من الضياع والانحراف في مسالك الغلو أو الجفاء.

ويتأكد هذا عند حلول النوازل التي أمر الله تعالى بالرد إلى أهل العلم فيها، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣]، فالأمة أحوج ما تكون عند النازلة إلى أهل العلم الراسخين والعلماء الربانيين، ولعل مما يتوجب على أهل العلم أن يكون دورهم حال النوازل أكثر من مجرد إصدار بيان -مهما وسعهم ذلك- على أهمية البيان للأمة.

- المشاركة في تلك البرامج والمشاريع، ولا سيما إذا وُجِّهت لهم الدعوات بالمشاركة.
- مراقبة خط سير الأمة على المنهج الأقوم، حتى لا تدفع النوازل الطارئة إلى خروج عن الصراط المستقيم بردود فعل غير محسوبة، تدفع إليها الحماسة المجردة والعاطفة غير المنضبطة بعقال العقل الشرعي.
- الاستعداد لكل منافق قد يطل بقرنه أثناء النازلة، فكثير من المرجفين والمنافقين يغتنمون النوازل فيروجون لفكر منحرف يحاولون استبدال منهج الله به، فإن كان المصلحون لهم بالمرصاد أمكنهم الاستفادة من إفرازات أهل النفاق الضارة ومخالفاتهم في تأجيج الحق وإظهاره.
- رؤية ما تنطوي عليه النوازل من خير، ثم تبصير الناس به، والعمل على الاستفادة منه، حتى لا يدب في نفوس الناس اليأس أو يستحكم القنوط.
- وأخيرًا تثبيت الأمة وتصبيرها حتى لا تنقلب على

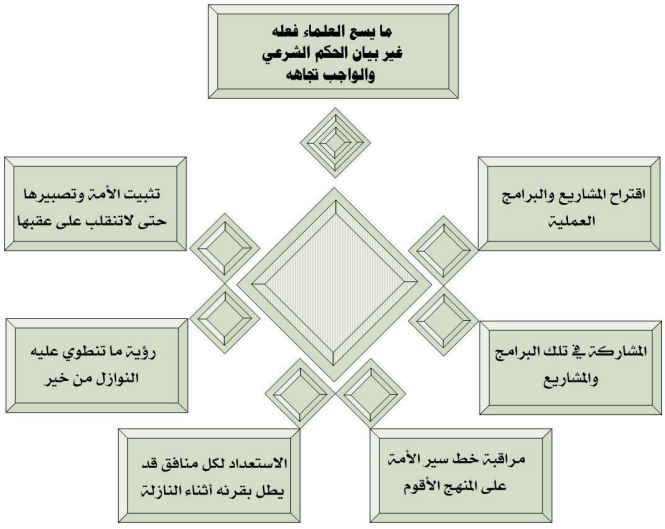

ومما يسعهم غير بيان الحكم الشرعي والواجب تجاهه:

- اقتراح المشاريع والبرامج العملية التي يرونها كفيلة بمعالجة النازلة أو احتواء آثارها.

عقبها أو تجزع مما أَلَمَّ بها، بل عليهم بث التفاؤل الإيجابي، وحسن الظن بالله؛ مهما كان الظاهر خلاف ذلك، فهذا منهج القرآن وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥]،

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾[يوسف: ٨٧]، «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**».(٩)

وقد مضى ذكر بعض ما يُفَعَّل به دور أهل العلم فلا حاجة إلى إعادته، وأهمية الحرص على وسائل تفعيل أهل العلم حال النوازل ظاهرة، ولعل من ذلك تفعيل المؤسسات ذات الطابع العلمي والدعوي الرسمية في الدول، دون حصر المسؤولية فيها؛ فقد أناطها الله بعموم العلماء.

لا يُقدِّم العالِم على رضى الله، رضى أحد كائنًا من كان، محبًّا كان أم مبغضًا، قائدًا أم منقادًا

عامل هام لتحقيق ريادة العلماء للأمة:

إن قيام العلماء بقيادة الأمة والنهوض بها يتطلب تحقيق عوامل مهمة نخص بالذكر عاملاً واحدًا فيها: **وهو استقلال العلماء:**

أعني به الاستقلال بمفهومه العام الذي يرتكز على تجريد النية لله عن كل ما سواه، ومن ذلك الحكومات والشعوب، فلا يُقدِّم العالِم على رضى الله، رضى أحد كائنًا من كان، محبًّا كان أم مبغضًا، قائدًا أم منقادًا، وإنما هو مجتهد في إخلاص قصده لربه وتحقيق مطلوبه وفق ما يشرع، رضي من رضي وسخط من سخط، يتحرى في كل عمل صالح أنفعَه وأحبَّه لربه، وهو مع ذلك ليس بمعزل عن التواصل مع الحكام والمحكومين، والناس أجمعين يدعوهم بدعوة المرسلين، ويبتغي لهم رحمة أرحم الراحمين.

فالاستقلال الذي ندعو إليه هو استقلال عن كافة الأهواء البشرية والتجرد لرب البرية سبحانه وتعالى، والقيام له بالقسط؛ ولو على حساب النفس وحظوظها أو الوالدين أو الأقربين، وهذا لا يتعارض مع المشاركة في أعمال الدولة ومؤسساتها ومؤسسات المجتمع، بل قد يكون واجبًا عينيًّا على بعض العلماء، حتى لا تخلو الدولة من العلماء الربانيين والدعاة المهتدين والرجال الصالحين.

وإن من المهم التأكيد على أن بعض المصلحين قد يجب عليه أو يناسبه العمل من خلال مؤسسات شعبية مستقلة عن أجهزة الدولة الرسمية، أو يختار المسلك الآخر بالعمل ضمن مؤسسة رسمية مع محافظته على استقلاله، وعدم انجراره ضمن أعمال لا يدين الله بها، وسلوك هذا المسلك أو ذاك إنما هو وفقًا لحال المصلح ومقتضيات المصلحة التي يقدرها.

وإن هذا الاستقلال الذي ننشده للمصلح -كما كان أو داعية- هو سبب نجاح تلك المؤسسات وقبولها لدى الخاصة والعامة؛ مع ما تبذله تلك المؤسسات وقادتها من المصلحين من حسن التواصل مع الآخرين حكامًا ومحكومين؛ مما يجعلها محل الثقة ومرتكز التأثير، وهذا ما ننشده في أهل الإصلاح، وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضى، وجعلنا للمتقين أئمة، ونصر بنا المسلمين والملة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش:

(١) من مقدمة الإمام أحمد في الرد على الزنادقة.
(٢) جزء من حديث صحيح، رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٨٩٨) عن أبي الدرداء.
(٣) كما في حديث أبي هريرة الذي رواه الترمذي في الزهد (٢٥٥٧).
(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).
(٥) المرجع السابق.
(٦) جزء من حديث صحيح رواه البخاري في كتاب العلم برقم (١٠٠).
(٧) إعلام الموقعين (٤/ ٢١٧).
(٨) ينظر مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢١).
(٩) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري، كتاب الجهاد والسير (٤٦٢٢).

معلومات إضافية

شيخ الإسلام ابن تيمية

المولد والنشأة:

ولد في حران في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده -رحمه الله- إلى دمشق المحروسة، فنشأ بها أتم إنشاء وأزكاه، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ودلائل العناية فيه واضحة.

ولم يزل منذ إبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث.

في ذكر قوة قلبه وشجاعته:

كان رضي الله عنه من أشجع الناس وأقواهم قلبًا، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وأخبر غير واحد أن الشيخ -رضي الله عنه- كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم، وقطب ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعًا أو رقة أو جبانة شجَّعه وثبَّته وبشَّره، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين وإنزال الله عليهم السكينة.

ولقد سُجن أزمانًا ولم يولهم دبره فرارًا، ولقد قصد أعداؤه الفتك به مرارًا، وأوسعوا حيلهم عليه إعلانًا وإسرارًا فجعل الله حفظه منهم له شعارًا ودثارًا.

ابن تيمية وشذرات مما زكَّاه به كبار علماء عصره تتناول بعض الجوانب من حياته:

- قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت٧٤٤): «هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفَّاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر وقريع الدهر، شيخ الإسلام، وعلامة الزمان ترجمان القرآن، علم الزهاد، أوحد العبَّاد وقامع المبتدعين .. صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها».

- قال العلامة كمال الدين ابن الزملكاني: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء، من سائر الطوائف، إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا قد عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله

والمنسـوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين.. واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها».

شيوخه:

بلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ، من أبرزهم والده عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٦٨٢)، والمحدث أبوالعباس أحمد بن عبد الدائم (ت ٦٦٨)، ابن أبي اليسـر، والشـيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسـي الحنبلي (ت ٦٨٩)، وابن الظاهـري الحافظ أبو العباس الحلبي الحنفي (ت٦٩٠).

تلاميذه:

أَمَّا تلاميذه فلا يُحصون كثرةً، فمن تلاميذه البارزين:

- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١) .
- الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤).
- الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، (ت ٧٤٢).
- الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨).
- أبو الفتح ابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري المصري (ت ٧٣٤).
- الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (ت ٧٣٩).

من مؤلفاته:

- كتاب الإيمان (مجلد).
- كتاب الاستقامة (مجلدين).
- كتاب جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (أربعة مجلدات).
- كتاب في الوسيلة (مجلد).
- كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ستة مجلدات).
- شرح العمدة (أربعة مجلدات).
- كتاب درء تعارض العقل والنقل (أربعة مجلدات).
- قواعد في إثبات المعاد (مجلد).

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (أربع مجلدات).
- دفع الملام عن الأئمة الأعلام (مجلد).
- كتاب الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (مجلدين).
- كتاب في محنته في مصر (مجلدين) .
- قواعد في السنة والبدعة، وفي أن كل بدعة ضلالة .
- السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية.

وفاته:

بقي الشيخ رضي الله عنه إلى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة الحرام، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في بكرة ذلك اليوم، وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو على حاله مجاهدًا في ذات الله تعالى صابرًا محتسبًا، لم يجبن ولم يهلع، ولم يضعف ولم يتتعتع، بل كان رضي الله عنه إلى حين وفاته مشتغلاً بالله عن جميع ما سواه.

الإمام محمد بن عبد الوهاب:

نسب الشيخ وسيرته:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد.. ينتهي نسبه إلى إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ويتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم في إلياس بن مضر.

مولده ونشأته العلمية:

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وخمس عشرة (١١١٥)، من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، في بلدة العيينة على الصحيح.

تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حادّ الفهم وقّاد الذهن، ذكي القلب، سريع الحفظ، قرأ على أبيه في الفقه، وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه، ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وجدّ في طلب العلم، وأدرك وهو في سن مبكرة حظًّا وافرًا من العلم، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه، ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام.

رحلة الشيخ وطلبه للعلم:

نشأ في حجر والده الشيخ عبد الوهاب، وكان فقيهًا، قاضيًا، فتعلم من والده بعض العلوم الشرعية.

حفـظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشـرة من عمره، وقدمه أبوه للصـلاة بالناس جماعة وهو في الثانية عشرة من عمره، وتزوج في تلك السنة، وكان مثابرًا على طلب العلم.

توجه الشـيخ للرحلة في طلب العلم؛ فرحل إلى مكـة والمدينة والبصرة غير مرة؛ طلبا للعلم .. ولم يتمكن من الرحلة إلى الشـام وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد. ولما رجع من رحلته في طلب العلم، وانتقل والده وأسـرته إلى حريملاء، وهي بلدة قريبة من مدينة الرياض دون المائة كيلومتر؛ أخذ ينشر علمه ويعلم الناس ما وفقه الله إليه من علوم.

بعض مؤلفات الشيخ :

قام الشـيخ رحمه اللـه تعالى بتأليف عدد من الكتب والرسـائل المهمة، وقـد امتازت مؤلفات الشـيخ رحمه الله بالأسـلوب القرآني المحض، وأدلته كلها مأخوذة من القرآن والسنة، وكان ذا أسلوب واضح لا يوجد فيه أي تعقيد.

ومن مؤلفات الشيخ:

١- كتاب التوحيد. ٢- كتاب كشف الشبهات. ٣- كتاب أصول الإيمان.

٤- كتاب فضائل الإسلام. ٥- كتاب فضائل القرآن. ٦- كتاب السيرة المختصرة.

٧- كتاب السيرة المطولة. ٨- كتاب الرد على الرافضة.

أهداف الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

تتلخص في ستة أهداف، وهي:

١ - إنكار الشرك بأنواعه؛ صغيره وكبيره.

٢ - إنكار جميع ما يخالف التوحيد وخلوصه، فينكر البدع، وتعظيم القبور.

٣ - ينكر التصوف الذي يخالف الإسلام.

٤ - يحارب الرشوة بأنواعها، أو التلاعب في حكم الله سواء بوصية أو غيرها.

٥ - يأمر بالمعروف.

٦ - ينهى عن المنكر، ويحاربه بالسيف والقلم.

وفاة الشيخ رحمه الله:

في عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم (١٢٠٦ هـ) توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة، وتوفي ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم.

من أراد التوسع:

فليراجع الكتب التالية: عنوان المجد لابن بشر (١/ ٢٢، ٢٣، ٦٢ - ٦٣)، وعلماء نجد للبسام (١/ ٣١٠ - ٣١١)، والدكتور العثيمين في كتابه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٤)، روضة الأفكار لابن غنام (١/ ٢٥)، وكتاب: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٣٣-١٧٤).